﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [المؤمنون: 84 - 85]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

من دلائل النّبوّة وأعلامِ الرّسالةِ الإخبار عن جواب الكافرين قبل جوابِهم

لمّا أنكر الكفّار البعث بعد الموتِ وجعلوا طول وقت البعثِ حجَّةً في شكِّهم وارتيابهم، فقالوا ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ احتجَّ اللّه تعالى عليهم في جواز البعثِ ووقوعِه بما أقرّوا به من ابتداء الخلق فجاء قوله تعالى ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، ولمّا كانوا مقرّين بذلك لظهورِه ووضوحِه أخبرَ عن جوابِهم قبل جوابِهم ليكون من دلائل النّبوّة وأعلامِ الرّسالةِ بقولِه مستأنفًا ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1].

وأيضًا لمّا أنكروا البعثَ هذا الإنكار المؤكَّدَ، ونفَوه هذا النَّفيَ المحتَّم، أمره أنْ يقرِّرَهم بأشياءَ هم بها مقرُّون، ولها عارفون، يلزمُهم من تسليمِها الإقرارُ بالبعثِ قطعاً، فقال تعالى ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اعْترافُهم بخلْقِ اللهِ لعجائبِ المخلوقات، مُلزِمٌ لعدمِ إنكارِهمُ البَعْث

جاءَ الجوابُ من اللّهِ لإنكارِهمُ البَعْث: قلْ لهم يا محمَّدُ ﷺ مجيبًا لإنكارِهمُ البعثَ مُلْزِمًا لهم: لمَن الأرضُ على سَعَتِها وكَثْرةِ عجائبِها، ومَنْ فيها من المخلوقاتِ على كثرَتِهم واخْتلافِهم، إنْ كنتُم بما هو كالجِبلَّة لكم أهلاً للعلم؟!

فسيُجيبونَ جوابَ المُقِرّين بذلك: ذلك كلُّه للّهِ المختصِّ بصفاتِ الكمال، فإذا كان ذلك جوابُكم؛ أفلا تذكَّرونَ بذلك المركوزِ في

(1) القشيري، لطائف الإشارات: 2/ 585.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 175.

طباعِكم، المقطوعِ به عندكم، ما غَفَلتُم عنه من تمامِ قدرتِه تعالى وباهرِ عظمتِه، فتُصدِّقوا ما أخبرَ به سبحانه من البعثِ الَّذي هو دون ذلك، وتعلموا أنَّه لا يَصلُحُ شيءٌ منها - وهو ملكُه - أن يكونَ شريكًا له ﷻ؛ وتعلموا أنَّه لا يَصحُّ في الحكمةِ أصلًا أنْ يتركَ البعث؛ لأنَّ أقلَّكم لا يَرْضى بتركِ حسابِ عبيدِه والعدلِ بينَهم؟![1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

وجه الاستدلال في الآية على البعثِ بعد الممات:

وجهُ الاستِدلالِ بِهِ على الإعادَةِ أنَّهُ تَعالَى لَمّا كان مالكًا للأرضِ ولمن فيها، وخالِقًا لهم ولِحياتِهم وقدرتِهم وغيرِها وجبَ أن يكون قادرًا على أن يعيدهم بعدَ إفنائِهم، كما أنَّ في الآية استدلالًا على نفي عبادةِ غير اللّه تعالى مِن حيثُ إنَّ عبادةَ من خلقَكم وخلقَ الأرضَ وكلَّ ما فيها من عجائب الخلقِ وما فيها من النّعم هي الواجبةُ دون عبادةِ من لايملك شيئًا ولايضرُّ ولا ينفعُ[2].

من كانَ مالكًا للأرضِ ولمن فيها، وخالِقًا لهم وجبَ أن يكون قادرًا على بعثهم

مناسبة الفصل في الآية:

لَمّا جاءت الآية على طريق التّقاول لإثباتِ الحجَّة وقطع الأعذار كانت الجملة مستأنفةً كما تُحكى الجمل التي تكون على طريق المقاولة، فناسب أن تكون على طريق الفصل من غيرِ عطفٍ، والسِّرُّ في ذلك أنَّ العاطف ينتظم الجمل حتى يصيِّرَها كالجملة الواحدة، فاجْتُنِبَ لإرادة استقلال كلٍّ واحدة منها في معناها[3].

كلُّ حجّة من حجج القرآن على البعثِ تصلح أن تكون دليلًا على حدةٍ

سبب مجيء هذه الآية والتي بعدها بطريق التّدريج في التّقرير والإذعان:

لَمّا كان الكلام على بيانِ الأدلَّة على البعثِ بعد الممات ذكر الأدلَّة الواضحة البيّنة على ذلك ليقرّوا ويذعنوا، بحيث لايمكن

إنكار الأدلّة الواضحة جهلٌ وعناد

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 13/ 177.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 290.
(3) ابن المنير، الانتصاف (حاشية على الكشاف): 2/ 116.

إنكارها، ولو أنكروا ذلك لظهر جهلهم عند كلِّ الخلائق ولتبيَّن أنَّهم معاندون[1].

نكتة التّعبير بلفظ ﴿قُل﴾:

تقرير القرآن صحَّة محاجَّة الكافرين والطّاعنين وإقامة الحجَّة عليهم

يفيد الطّلب بفعل الأمر ﴿قُل﴾ الامتثال بإظهار القولِ من غير تردُّدٍ إشعارًا بأنَّ المسؤول عنه واضحٌ جليٌّ والإقرارَ به ظاهرٌ، وفي هذه الآيات المبدوءَةِ بـ﴿قُل﴾ دلالة على صحَّةِ سلوكِ محاجَّة الكفار والمبطلين وإقامة الحجة عليهم، وإظهارِ الباطل من قولهم ومذهبهم، ووجوب النظر في الحجج على من خالف دين الله[2].

سبب حذف المقول له:

دعوة جميع النّاس للإقرار بأنَّ الأرض ومن فيها لله تعالى لأنَّه ممّا لا يمكن إنكارُه

حُذِفَ المقول له في قوله ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ﴾ ولم يعيَّن؛ لإفادة العموم، بمعنى قل لكلِّ من يصلح السُّؤالُ له إيذانًا بأنَّ الإقرار بأنَّ الأرض ومن فيها لله تعالى ممّا لا يمكن إنكارُه، ويدخل في العموم المخاطبون من الكفّار دخولًا أوّليًّا لكونه معلوما من السياق، ولدلالة حال ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾ عليه[3].

دلالة اللّام واسم الاستفهام في قولِه ﴿لِّمَنِ﴾:

ملكوت السماوات والأرض لله لا ينكره منصف

اللام للملك، بمعنى لمن ملك الأرض ومن فيها من الخلق[4]، واسم الاستفهام (من) يفيد العموم، بمعنى أنَّ السؤال بـ (مَنْ) يفيد الاستغراقَ على البدل لجميع من له علمٌ، فلمّا جاء الجواب بقوله تعالى ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾ أفاد أنَّ اسمَ الاستفهام منطبق في معناه على الاسم الجليل (الله)، بمعنى أنَّ السؤال بـ(مَنْ) وإن كان على معنى العموم لكنَّه لا يحتمل سوى أن يقصَدَ به اللّهُ الواحد الأحد من أوّل السّؤال، لأجل أنَّ الإقرارَ به واضح بيّن لا يحتاج إلى تفكير.

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 488.
(2) مكي، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 7/ 4995.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 213.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 63.

بلاغة الاستفهام المجازي:

الغرض من الاستفهام التّقرير بالمالك

المرادُ من الاستفهام في قوله ﴿لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ طلب الإجابة من المخاطبين على سبيل التّقرير، أي أجيبوني عما استعلمتكم عنه ممّا هو معلوم لا يمكن إنكارُه، فالتّقرير المطلوب هنا هو التّقرير بالمالك، بدلالةِ حرف الجرِّ الدّالِّ على الملكيَّة الدّاخل على اسم الاستفهام[1].

بلاغة القصر في قولِه ﴿لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ﴾:

من مقتضيات وحدانيَّة الله تعالى اختصاص ملك الأرض ومن فيها به سبحانه

لمّا تقدم المسند على المسند إليه كان الكلام على القصر في الاستفهام، فيكون الجواب مفيدًا معنى القصر كذلك، والمعنى لله الأرضُ ومن فيها؛ ليفيد اختصاص ملك الأرض ومن فيها بالله تعالى دونَ غيرِه.

فائدة (أل) في قولِه ﴿ٱلۡأَرۡضُ﴾:

آيات الله في خلقه ظاهرة لا ينكرها إلّا معاند

(أل) جنسيَّة، لتفيد اللّفظ لكلِّ ما يطلق عليه أرضٌ، فيشمل الأرضَ على سعتها وكثرة عجائبها[2]، أو تكون (أل) للعهد؛ أي الأرض المعهودة التي تعرفونها وتعيشون عليها، وترون فيها آيات الله ومخلوقاته، ليكون ذلك أبلغ في التَّقرير والإنكار.

فائدة العطف في قولِه ﴿وَمَن فِيهَآ﴾:

الخالق للشّيء مالك له

لمّا كان الكلام في سياق بيان الحجّة على البعث بعد الممات والاستدلالِ عليه، وكان البعث متعلِّقًا بإحياء الخلقِ بعدَ مماتِهم في الأرضِ، بمعنى إحيائِهم وإخراجِهم من الأرضِ ناسب طلب إقرارِ الكافرين على أنَّ الأرضَ ومن فيها لله تعالى، ولم يحسن طلبُ الإقرار بأحدهما فقط بأن يقال لمن الأرض إن كنتم تعلمون؟ أو لمن من في الأرضِ إن كنتم تعلمون؟، ولا يخفى ضعفُ تأليف الكلام إن جاء طلبُ الإقرارِ بأحدِهما كما هو ظاهرٌ، كما أنَّ في عطف ﴿وَمَن

(1) النسفي، التيسير في التفسير: 11/ 58، والزمخشري، الكشاف: 3/ 200.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 176.

فِيهَآ﴾ على ﴿ٱلْأَرْضُ﴾ إشعارًا بأنَّ سؤالَهم عن ملكية الأرض هو سؤال عن سبب الملكية أيضًا لا عنها وحدها، فأفاد أنَّه تعالى يملك الأرض عن طريق خلقِه للأرضِ ومن في الأرضِ[1].

دلالة الاسم الموصول في قولِه ﴿وَمَن فِيهَآ﴾:

من له عقلٌ يؤمن بالبعثِ بعد المماتِ

عبَّر بالاسم الموصول (مَنْ) الذي يفيد العموم ليفيد الاستغراق لكلِّ من في الأرضِ، فيناسب الاستغراق الذي أفاده لفظ ﴿ٱلْأَرْضُ﴾، "والمراد بمن في الأرضِ الخلقُ جميعًا"[2]، وعبَّرَ بالاسم الموصول (مَنْ) الذي هو للعاقل لتغليب العقلاء على غيرِهم[3]، لأنَّ المرادَ ما يستغرقُ المخلوقاتِ كلَّها كما تقدَّم، فيكون من إطلاق اللفظ المختصِّ بالعقلاء على الجميع، لمناسبة المقام بذكر العلم، ولأنَّ فيه تنبيهًا على أنَّ من له عقلٌ يؤمن بالبعثِ بعد المماتِ.

فائدة التّعبير بـ (في) دون (على):

التّنبيه على قوّة ملك الله تعالى ونعمتِه على النّاس بتمكّنهم في الأرضِ وانتفاعهم فيها

عبّرَ بحرف الجر (في) في قولِه ﴿فِيهَآ﴾ دون أن يقال (لمن الأرض ومن عليها) للإشعار بأمرين؛ أحدهما: قوّة ملك الله تعالى؛ لِما يفيده معنى الظّرفية من التّمكّن في الشّيء، والمعنى: لمن الأرض ومن فيها وعليها؟، والثاني: التّنبيه على نعمة الله تعالى بتمكّنهم في الأرضِ وانتفاعهم فيها.

سبب البدء بالسّؤال عن ملكيَّة الأرض ومن فيها:

تعليم المؤمنين طرائق الاستدلال والاحتجاج

بدأ بالسّؤال عن ملكيَّة الأرض ومن فيها في هذه الآيات لأنَّها أقربُ شيءٍ إلى المسؤولين المشركين، إذ يتّخذون منها فراشًا ومعاشًا وممشىً ونشاطًا لأعمالِهم وحياتِهم، فالعلم بها أبلغ من العلم بالسّماوات وبملكوت الله تعالى، ولهذا ناسب أن يقول عقبه ﴿إِن كُنتُمْ

(1) المطعني، التفسير البلاغي: 3/ 21.
(2) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 586.
(3) إسماعيل حقي، روح البيان: 6/ 100، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 215.

تَعْلَمُونَ﴾، كما أنَّه لمّا كانَ في بيان الحجج بدأ بالأكثر إذعانًا وإيقانًا عند المخاطبين لتوجيه المؤمنين إلى طرائق الاستدلال والمحاجة.

دلالة الشّرط في قولِه: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

تنبيه الكافرين على أنَّهم لمّا أنكروا البعثَ بعدَ المماتِ أنكروا شيئًا لا ينكره من له علمٌ

أفاد الشَّرطُ تنبيهَ المخاطبين من الكافرين على أنَّهم لمّا أنكروا البعثَ بعدَ المماتِ أنكروا شيئًا لا ينكره من له علمٌ[1]، فكيف ينكر العبد ما هو مشاهد له يعيشه كلَّ يوم ويرى بديع خلق الله تعالى فيه؟!، وفي هذا الأسلوب من الشّرط كذلك الذي يأتي في ذيل الكلام تهييجٌ وإلهابٌ للحمل على النّطق بالحقِّ.

فائدة التّعبير بـ﴿إِن﴾:

من أساليب القرآن في الحجاج التّهييجُ والإلهابُ والحثُّ على الإقرارِ والإذعان

لمّا كانت أداة الشّرط ﴿إِن﴾ تفيد عدم القطع بوقوع الشّرط أو ندرة وقوعِه أفاد التّعبير بها هنا التّشكيك في علمِهم بالنّسبة لهم، وفائدته الاستهانة بهم وتوبيخهم لأنَّهم لم ينتفعوا بعقولِهم فيؤمنوا ويتّقوا، فجهلوا مثل هذا الأمرِ الظّاهرِ البيِّنِ[2]، وقد يقال مجيء الشّرط بـ ﴿إِن﴾ لاينفي عِلْمَهُمْ بِذَلِكَ، وهو أسلوب من أساليب الاحتجاج على وجهِ التّأكيدِ لعلمِهم ومن أساليب التّهييج والإلهاب والحثِّ على الإقرارِ والتّسليم والإذعان[3]، ولهذا أجاب عنهم في قولِه ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ لظهور الأمرِ ووضوحِه، ففي هذا الأسلوب من الشّرط الذي يحذف جوابُه توجيه لعقولِهم أن يتأمّلوا فيظهر لهم أنَّ الأرضَ لله وأنَّ من فيها لله، والحاجةُ إلى التّذكير ضرورةٌ؛ فإنَّ كونَ جميع ذلك ملكٌ لله تعالى قد يخفى، لأنَّ النّاس اعتادوا نسبةَ المسبّبات إلى أسبابِها المقارنة لها ونسبة التّصرُّفات إلى مباشريها، فنبّهوا بقولِه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إلى التّأمّل أيْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمونَ عِلْمَ اليَقينِ[4].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 176.
(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 200، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 93.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 580.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 109.

فائدة حذف المفعول في قوله ﴿تَعْلَمُونَ﴾:

لمّا كان الشّرط على معنى التّشكيك في علمِهم كان حذف المفعول على معنى تنزيله منزلة اللّازم بمعنى التّشكيك في حصول العلم عندهم، ليفيد أنَّ من له أدنى علمٍ يؤمن باللّه وبالبعثِ بعد المماتِ، ويحتمل أن يكون المفعول معلومًا وحذفَ بدلالة السّياق عليه، والتّقدير: (إن كنتم تعلمون مَنْ مالكُها)؟ فيكون المعنى: (إن كنتم من العالمين)[1].

من له أدنى علمٍ يؤمن باللّه وبالبعثِ بعد المماتِ

دلالة حذف جواب الشّرط:

حُذِفَ جواب الشّرط لقولِه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لدلالة الاستفهام عليه، وتقدير الكلام: (إن كنتم تعلمون شيئًا فأجيبوني عن السّؤال)، فكأنَّ من لا يعلم الجواب عن هذا السّؤال لا علمَ له، أو التّقدير: (إن كنتم تعلمونَ ذلك فأجيبوني عن السّؤال)، ويكون التّخصيص بلفظ (ذلك) الراجع إلى المسؤول عنه بسببِ قرينة السّياق، وتقدَّم أنَّ هذا الأسلوب من حذف جواب الشّرط يقصد به الاحتجاج على المخاطب لظهور الأمر ووضوح العلم به، ففيهِ من المُبالغةِ في وضوحِ الجوابِ وفي تجهيلِهم ما لا يَخْفى، ويؤيّده الإخبار بجوابِهم قبل أن يجيبوا[2].

حذف جواب الشّرط احتجاج على المخاطب لظهور الأمر ووضوحه

مناسبة الفصل في قوله ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾:

الفصل على طريق الاستئناف البيانيِّ، وبيانُه أنَّه لمّا قال اللّه تعالى ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ اقتضى الكلامُ سؤالًا، وهو ماذا سيقولون؟، فقال: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾.

سرُّ الإجابة عن الكافرين في قوله ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾:

لمّا كان الظّاهر أن يكون الكافرون هم المجيبين عن السّؤال لتوجّه السّؤال إليهم كان الإخبار عن جوابِهم قبل أن يجيبوا على خلاف

في الإخبار عن جواب الكافرين قبل جوابِهم نكت ولطائف متنوّعة

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 63، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 93، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 214.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 147، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 109.

مقتضى الظّاهر، ونكتته ظهورُ الإقرارِ بالأمر وجلاؤه، وبيان أنَّ إنكارَ ماهو الحقُّ في جوابِ ذلك السّؤال ممّا لا يمكن لمن له أدنى علم، ففيه إشعارٌ بأنَّهم ليس لهم جوابٌ سواه، فلا بدَّ أن يجيبوا بذلك، لأنَّه معلومٌ ببديهة العقل، سواء نطقوا به أم كانوا صامتين، كما أنَّ الإجابةَ عنهم إلزامٌ لهم بما لايمكن لمن له مُسكة من العلم إنكارُه، كما أنَّ في الإجابة عنهم استهانةً بهم وتقريرًا لجهلِهم[1].

فائدة مجيء السين في قوله ﴿سَيَقُولُونَ﴾:

لمّا عبّرَ بالسين التي تفيد وقوع الفعل في الزمن القريب دلَّ على أنَّ الكافرين لن يلبثوا أن يجيبوا بهذا القول، فلا يحتاج الأمر إلى تأمّل وتفكير طويل لظهور أنَّ الأرض ومن فيها لله تعالى، كما أنَّ في التّعبير بالسين تأكيدًا لقولِهم وتقريرًا له[2].

ملك الأرض ومن فيها متحقّق لله لا يُنْكَر

نكتة التّعبير بضمير الجمع في قولِه ﴿سَيَقُولُونَ﴾:

لمّا كان الضّمير عائدًا على الكافرين المنكرين البعثَ أفاد استغراقَهم جميعًا وأنَّهم بمجموعِهم سيقولون لله من غيرِ أن يتخلَّف أحدٌ منهم، وفيه إعجاز لنبوّة سيّدنا محمَّد ﷺ، فلو قال واحد منهم في وقت نزول الآية غير هذا القولِ لبطل إعجاز القرآن، ولم يصل إلينا أنَّ أحدًا منهم لم يقل غير هذا القول.

اجتماع أهل الباطل على بطلانهم

بلاغة الكناية في قوله ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾:

لمّا أقرّوا أنَّ الأرضَ ومن فيها ملك لله تعالى أفاد بلازمِه على سبيل الكناية وجوبَ إقرارِهم أنَّه هو الذي أنشأها وأنَّه هو الذي خلقَ الخلقَ وأحياهم وأنَّه هو القادر على التّصرّف فيها وفيهم، وعلى إحيائِهم بعد مماتِهم مثل قدرتِه عليهم في المرة الأولى فإنَّهم كانوا أمواتًا ثمَّ أحياهم، فيفيد الكلام إرادة معنى الملزوم ولازمِه.

جحود الكافرين مع علمهم بالحقِّ المبين

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 93، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 147.
(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 214، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 109.

بلاغة الإيجاز بالحذف:

تقدير الكلام في قوله ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾: (سيقولون لله الأرضُ ومن فيها)، بتقديم المسند على المسند إليه ليطابق ما ورد في السُّؤال، ففيه إيجاز بحذف المسند إليه، ونكتة حذف المسند إليه الإشعار بأنَّ محطَّ النّظر هو معرفة المسند والإقرار به كما أنَّ قرينة السّياق دالَّةٌ على المحذوف ظاهرةٌ عليه.

محلُّ السُّؤال هو محطُّ الاهتمام

مناسبة الفصل في قولِه ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

جاءت الجملة على طريق الاستئناف البياني، فكأنَّ سائلًا سأل: فماذا يكون جواب رسولِ الله ﷺ إذا قالوا ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾ فأجاب ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، والمعنى فإذا قالوا ذلك وأقرّوا به ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1].

الاستئناف البياني من مقامات الفصل

بلاغة الاستفهام المجازي في قولِه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

الاستفهام هنا إنكاريٌّ، للإنكارِ عليهم في عدم تذكّرِهم ذلك الأمرَ، ويتولَّدُ من الاستفهام الإنكاريِّ بمعونةِ قرينةِ السّياق التّوبيخُ والتّقريعُ والتّبكيتُ؛ ليفيد أنَّ القول – وإن كان في نفسه صدقًا – فلم تكن فيه غنية إذ لم يصدر عن علم ويقين ولم يعملوا به، ولمّا عبَّر بالتّذكير أفادَ التَّرغيب في التدبُّر ووعظَهم فيه، ليتّبعوا الحقَّ ويعلموا بطلانَ ما هم عليه[2]، فجمع في هذا الاستفهام الإنكاريِّ التّوبيخَ والتّبكيتَ والوعظَ والإرشادَ، والمعنى فقل منكرًا عليهم موبّخًا لهم أفلا تتدبَّرون، فتعلموا أنَّ من قدر على خلق ذلك ابتداءً فهو قادر على إحيائهم بعد مماتهم، وإعادتهم خلقا جديدًا بعد فنائهم[3].

الإقرار بملكِ الله الأرض ومن فيها لا ينفع إن لم يتبعه الإيمان الكامل

(1) ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز: 3/ 208، والبغوي، معالم التنزيل: 3/ 207.
(2) القشيري، لطائف الإشارات: 2/ 586، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 290، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 14/ 248.
(3) المراغي، تفسير المراغي: 18/ 48.

إيثار التّعبير بالتّذكّر في قولِه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

ملكية الأرض ومن فيها لله تعالى لا ينبغي أن ينازِعَ فيها منازِعٌ

أوثرَ التَّعبير بالتَّذكُّرِ هنا للإشعارِ بأنَّ العلمَ بكونِ الأرض ومن فيها ملك لله تعالى ممّا لا يخفى في نفسِه؛ لوضوحِ الأمرِ، فالأمرُ لا يحتاج سوى إلى التّذكير بالتّنبيه عليه للإقرارِ به، أي إنَّ ملكية الأرض ومن فيها لله تعالى لا ينبغي أن ينازِعَ فيها منازِعٌ، وإذا نُسيَتْ أو غُفِلَ عنها فيكفي أن يذكَّرَ النّاسي بها، ولمّا كان الامتثال للتّذكّر يفيد خروجَهم من الكفر ودخولَهم الإيمان دلَّ على أنَّ المرادَ من التذكّر هو الحاصلُ منه، وهو الإقرار بوحدانيَّة الله وبالبعثِ بعد الممات[1].

دلالةُ حذفِ التّاء الأولى في قوله: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾:

جحود الكافرين وإنكارهم الآيات البيّنات

أصل كلمة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ تتذكَّرون، فحذفت تاء المضارعة تخفيفًا في الكلامِ، وفيه إشعارٌ بأنَّ أقلَّ ما يطلق عليه تذكّرٌ يكفي للإقرارِ والإيمان، لظهور الدليل وقيام الحجّة.

وأفادَ مجيء الفعل بصيغة المضارع الدلالة على طلب استمرارِ التذكّر وتجدّده، وفيه تنبيه إلى أنَّ النّظر إلى الأرضِ ومن فيها يفيد تجدّد التّذكّر وقتًا فوقتًا، وفيه أيضًا الإنكار عليهم بعدم تذكّرهم، فلا يقع منهم ولو كان قليلًا.

بلاغة حذف مفعول ﴿تَذَكَّرُونَ﴾:

الأدلّة على وحدانيّة الله والبعثِ بعد الممات كثيرة متنوّعة

حذف المفعول لدلالة السّياق على معناه، ولإفادةِ العمومِ، والتقدير: (أفلا تذكّرون أنَّ من فطر الأرض ومن فيها ابتداءً قادر على إيجادها ثانياً فتؤمنون؟)، فإنَّ بدء الخلق ليس أهون من إعادته، بلِ الأمرُ بالعكس في قياس العقول[2]، أو يقال: (أفلا تذكرون أنَّ مالك الشَّيء يقدر على التَّصرُّف فيه، والأموات مملوكة لله قادر على إحيائها بعد الموت مثل قدرته عليها في المرَّة الأولى

(1) النسفي، التيسير في التفسير: 11/ 58، والمطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 23.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 93، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 148.

فإنها كانت أمواتاً فأحياها؟)[1]، ونكتة حذف المفعول توبيخهم على عدم تذكّرهم أيَّ نوعٍ من أنواعِ التَّذكّر، وفيه إشعارٌ بأنَّ الأدلَّة على وحدانيَّة الله والبعثِ بعد الممات كثيرة متنوّعة، فكأنَّ المعنى: (فلا تذكّرون الأدلَّة الدّالَّة على الصّانع فتؤمنون؟)[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التذكّر والتفكّر والتنبُّه:

التذكّر يفيد أنَّ الشّيء موجود في الذهن ولكنّه غائب عنه، بمعنى نسيانِه وعدم التنبّه عليه، والتفكّر طلب إيجاد، فلمّا كان المراد من التفكّر حصول الشّيء وإيجاده كان التذكّر بعد التفكّر، فلمّا طلب منهم التذكّر في الآية دلَّ على وجود العلم بالشّيء، بمعنى أنَّه لظهور الأمر فيه وجلائه لا يحتاج إلى تفكّر بل إلى تذكّر فقط، وذلك أنَّ ذكر الشّيء يقتضي أنَّه كان عالمًا به ثمَّ نسيه فردَّه إلى ذكره ببعض الأسباب الظّاهرة، وذلك أنَّ الذكر هو العلم الحادث بعد النسيان، ويكون في العلوم الواضحة الجليَّة، ولا يوصف الله بالذّكر، فلا يقال (ذاكر)؛ لأنَّه لا يوصف بالنّسيان، وأمّا الفرق بين التذكّر والتنبّه، فإنَّ التنبُّه قد لا يكون عن علم سبقَ، فيجوز أن ينبَّه الإنسانُ على شيءٍ لم يعرفه قطُّ، ألا ترى أنَّ الله ينبِّهُ على معرفته بالزلازل والصواعق وفيهم من لم يعرفه البتة فيكون ذلك تنبيها له كما يكون تنبيها لغيره، ولا يجوز أن يذكِّره بما لم يعلمه قطُّ[3].

التـذكّـر بعد التفكّر، والتنبُّه قد لا يكون عن علمٍ سبقَ

(1) الكرماني، لباب النقول، ص: 1651.
(2) العليمي، فتح الرحمن: 4/ 487.
(3) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 93.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»